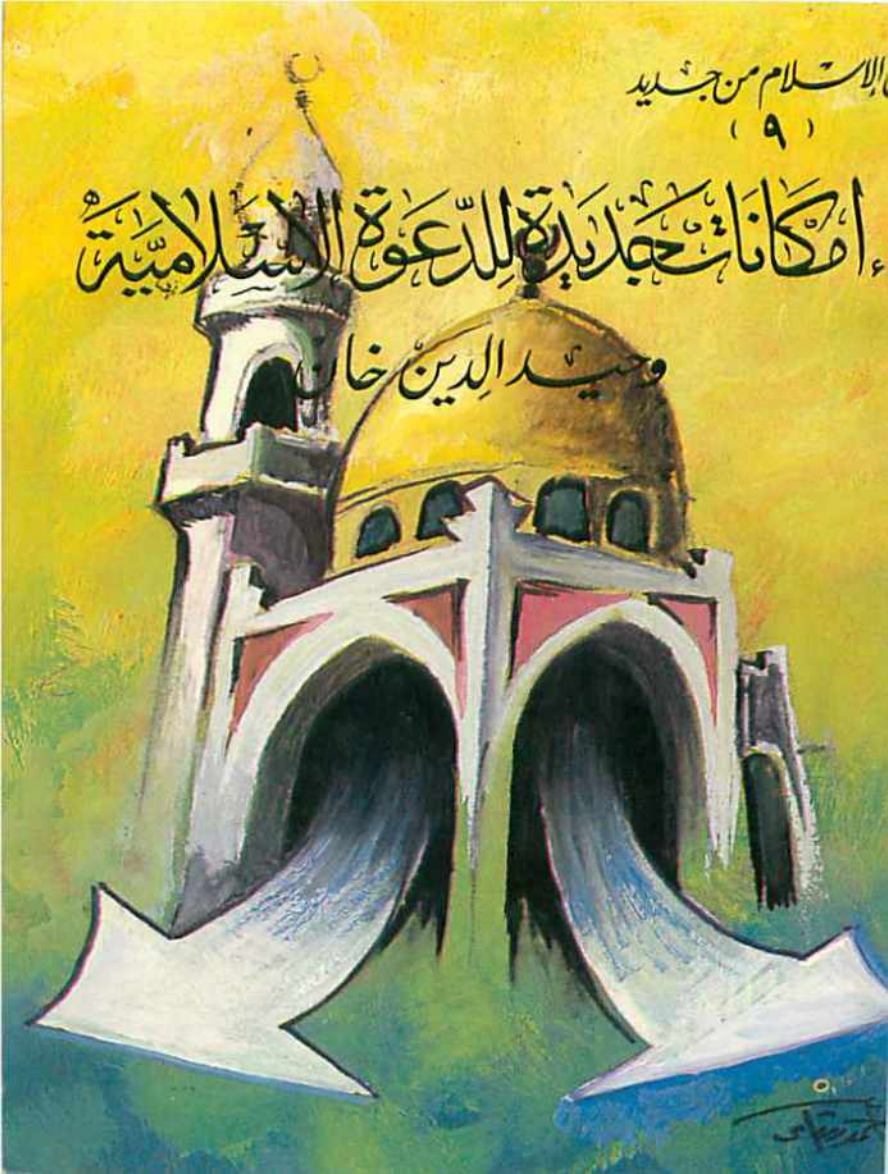

الإسلام من جديد
(٩)
إمكانات جديدة للدعوة الإسلامية
وحيد الدين خان

إمكانات جديدة للدعوة الإسلامية

وحيد الدين خان

تقـــديـــم

منـذ بدء البشـرية وإلى الـقرن السابـع الميلادي ظـل الأنبيـاء مضطلـعون بمسـؤوليات إبـلاغ الرسالـة الإلهيـة إلى البـشر . وكـان العمـل النبـوي يتمـتع بالمعجزات لتأييد صدق الرسالة . كانت المعجزات أدلة غير عادية تشهد لصدق الرسالة التي جاء بها النبي إلى قومه.

ولا تزال مـسؤوليـات الدعوة وإبـلاغ الرسالـة باقيـة ومطلـوبة بكـل قوة وشدة ، لكن بدون أن يتمتع الداعي بالمعجزات .

إن حكومة ما حين تـعيّن حراساً للغابات ، تقدم لهم الأسـلحة الضرورية للدفاع عـن أنفسهم في مواجـهة الوحـوش .... فكيـف للذات التي تنبـع منها كل الرحـمة والرأفة بـالعباد. أن تـكلفنـا بهذه المسـؤولية ولا توفـر لنا الوسـائل والإمكانات التي تتيح لنا القيام بالواجبات الملقاة على عاتقنا ؟

الحقيـقة هي أن الله تـعالى وفّر للدعـاة في عصر ما بـعد النبوة امـكانات تفوق الإمكانات التي هيأها لهم في العصور الماضية . فهو تعالى قد غيّر مجرى التـاريخ البـشري حتـى نحصـل على الـتأيـد والإمكانـات لأجل الدعـوة . فى

ظروف عادية ، على غرار التأييد والإمكانات التي لم يكن أسلافنا يحصلون عليها إلا في ظروف غير عادية .... هذا، بغض النظر عن أننا فشلنا في إدراك هذا السر في العصر الحاضر فأخفقنا في الاستفادة من الإمكانات التي وفرتها لنا الثورة العلمية والفكرية الحديثة .

إمكانات جديدة للدعوة الإسلامية [١]

يصف القرآن الشرك « بالظلم العظيم » [٢]، أما (التوحيد) فيصفه كتاب الله بأنه هو « الحق » [٣].

وكان نظام الحياة البشرية ، منذ قديم الزمان ، يقوم على أسس الشرك ، وكان كل الأنبياء والرسل ينبهون الإنسان إلى خطورة الشرك ومضاره ويدعونه لإقامة نظام حياته على التوحيد لكي يفوز برضى الخالق في كلا العالمين الأدنى والآخر. ولكن الشعوب قبل الإسلام لم تلتزم بتعاليم الأنبياء ، وكانت استجابتها للرسالات السماوية مؤقتة أو الرفض الكلي . والنبي العربي ﷺ ، هو أول من تمكن بمشيئة الله ، من زحزحة الشرك نهائياً وأحلّ محله التوحيد . وكان من نتائج هذه الثورة الفكرية أن انتهى تقديس المظاهر الكونية ، لأول مرة في تاريخ البشرية، وانفتح أمامها درب تسخير الكون ، الذي يسمى الآن بالعلوم الحديثة.

إن مؤرخي الحضارة الحديثة يواجهون سؤالا أساسياً ، هو : لماذا تأخر الإنسان في استغلال الموارد الطبيعية بالرغم من توفر العقل لدى البشر منذ القدم ؟ فالإنسان يسكن الأرض منذ مئات الألوف من السنين ، ولكن موارد الطبيعة لم تستغل بالأسلوب الحديث إلا منذ بضع مئات السنين . وقد أصاب المؤرخ توينبي [٤] (١٨٨٩ - ١٩٧٥) حين ردّ على هذا السؤال قائلا : إن الإنسان القديم كان ينظر إلى الأرض كإلهة ومعبودة وكانت كل مظاهر الطبيعة على الأرض وحولها آلهة لدى

---

(١) ألقى المؤلف هذا الخطاب بمناسبة اليوبيل الذهبي لجامعة دار السلام الإسلامية بعمر آباد في جنوبي الهند ، في ١٧ أبريل ١٩٧٧ ، وترجم عن « الرسالة » ، عدد يوليو ١٩٧٧.

(٢) لقمان : ١٣

(٣) يونس : ٣٢.

(٤) ريدرز دايجست ، عدد مارس ١٩٧٤

الإنسان القديم المشرك . ولم يكن الإنسان القديم قادراً على تسخير موارد الطبيعة لخدمة البشرية ما دام قد ظل يعاني من هذه الحالة النفسية . وعقيدة التوحيد هي التي قضت على الاعتقاد بألوهية الأرض ومظاهر الطبيعة وأوضحت للإنسان أن كل شيء هو من مخلوقات الله وبذلك توفرت الحالة النفسية التي تسمح للإنسان بتسخير الطبيعة واستغلالها .

وأول من فطن إلى إمكانات تسخير الطبيعة هم العرب الذين غيّر الإسلام شاكلتهم الفكرية. وكان من نتائج فكرة التوحيد أن أصبحت العقلية العلمية المدققة والباحثة عن أسرار الطبيعة تهيمن على علماء العرب ، الأمر الذي أدى إلى بروز حضارة عظيمة . وأخذت آثار هذه الحضارة تصل إلى أوربا عبر ايطاليا في القرن الثالث عشر . وأصبحت الأندلس وصقلية من مراكز هذه النهضة الحضارية . وقد اعترف المؤرخون الجدد ، بصفة عامة، بأن السبب الأول والأساسي في النهضة الأوربية هو تأثير « البطولات » العلمية التي قام بها أتباع النبي العربي في الأندلس (٧١١ - ١٤٩٢م).

وقد كتب بريفالت يقول :

« لا يوجد من جانب في النهضة الأوربية يخلو من التأثير الحاسم للحضارة الإسلامية . ولكن هذا التأثير ليس أكثر وضوحاً وأهمية منه في ظهور القوة الجديدة التي تعتبر أكبر سر لنجاح هذه النهضة ، ألا وهى القوة الكامنة في العلم وأسلوب الفكر العلمي ».

ثم يستطرد قائلاً :

« إن من الممكن جداً أن الحضارة الصناعية لم تكن لتقوم أبداً لولا العرب[1] ».

(١) Briffault. Making of Humanity. p 202.

ولم تكن النتيجة الوحيدة لنهاية تقديس الطبيعة أن تغيّرت فكرة الإنسان ونظرته للعالم الخارجي فقط، بل انسحب هذا التأثير على جميع جوانب العلاقات البشرية . فكما كان النظام المشرك يعتبر كل شيء مضيء وبراق معبوداً ، كان يعتبر البشر البارزين، كالملوك ورجال الكهنوت الديني، أيضاً، من أولاد الآلهة أو المرتبطين بهم بعلاقات خاصة لا تتوفر للعامة من الناس. وهكذا كان كل إنسان يتمتع بخواص غير عادية يحصل في النظام المشرك بأهمية غير عادية.

وبعد تحطم النظام المشرك وغلبة التوحيد ، نهائياً ، بسبب الثورة الإسلامية ، قضي على العقلية البشرية التي كانت تربط عظمة البشر بمعتقدات فوق طبيعية. فأصبح كل البشر متساوين أمام الخالق وانعدم الأساس الخرافي الذي كان يميز بين إنسان وآخر . إن نظام التوحيد قد جرد الإنسان من خرافة الشرف الأساسي أو الموروث ومن أي إمتياز لا يقوم على سلوكه الذاتي.والثورة التي فجرها رسول الإسلام ، على أساس فكرة التوحيد رسخت عظمة الإله الخالق وأكدت على تساوي كل البشر أمامه فحطمت النظام المشرك . وبدأت البشرية تسير على درب جديد ، وتغيرت عقائد البشر ، واختفى النظام الكهنوتي والملكي القديم تحت أنقاض هذا الحطام، واندثرت الإمبراطوريات التى كانت تتحكم برقاب الناس باستغلال المفاهيم المشركة . وهكذا بدأ التغير الذي فتح عصراً جديداً في تاريخ البشرية .

لقد بدأ روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨) كتاباً له بفقرة شهيرة تقول :

(لقد خُلق الانسان حراً ، ولكنني أراه مكبَلاً بالأصفاد) ..

إن هذه الفقرة ، فى حقيقتها ، صدى لكلمة صدرت من الخليفة الثاني عمر الفاروق (٥٨١ - ٦٤٤) م قبل روسو بأحد عشر قرنا ، ليس كفيلسوف خيالى ، بل كحاكم أعلى للدولة الإسلامية يشرح السياسة لأحد مرؤوسيه :

« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » !

وقد اعترف الباحثون من غير المسلمين ، بصفة عامة ، بهذا التأثير الإسلامي على تاريخ البشرية . يقول الدكتور هيرالال تشوبرا (الأستاذ بجامعة كلكوتا) في مقال له :

« إن التاريخ الحديث يقول : إن مبادئ الحرية والمساواة والأخوة نتاج للثورة الفرنسية، ولكن أول شخص أعلن هذه المبادئ هو مؤسس الإسلام قبل أربعة عشر قرناً» (١)

إن الأحداث التي شهدها العالم الطبيعي والتاريخ البشري الحديث هي نتائج مادية للثورة التوحيدية . فقد نشرت في الولايات المتحدة الأميريكية مؤخراً دائرة معارف تسمى « الإنسان وآلهته » وتحتوي أبحاثاً حول مختلف الأديان . وقد كتب في الإسلام أحد الباحثين المسيحيين واعترف فيه بوضوح أن « ظهور الإسلام قد غيّر مسار التاريخ البشري » (٢) .

وهذه « الثورة الفكرية » التي فجرها الرسول ﷺ وصحابته ، عليهم رضوان الله ، كانت تقوم على فكرة الترغيب والترهيب من يوم الحساب (الآخرة) . وكانت لهذه الثورة آثار بعيدة المدى في المجالات الدنيوية . ومن أهم هذه الآثار نهاية الأحوال والظروف التي كانت تقف حجر عثرة أمام الدعاة إلى الحق . لقد أصبحت الدعوة الآن أمراً سهلاً بينما كان دعاة العصور الماضية يواجهون تحدّيات جسيمة مثل التهديد الذي واجه به فرعون الذين آمنوا بدعوة موسى عليه السلام :

﴿ لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلافٍ ولأصلبنكم أجمعين ﴾ (٣).

---

(١) Illustrated Weekly of India (Bombay) . April 15 . 1973 .

(٢) Man and His Gods, p. 389 .

(٣) الشعراء : ٤٩

إن هذه الثورة حطمت البيان الفكري الذي أضفى على الأساطير والأوهام مكانة علمية ، فظهرت للإنسان آيات الله الكامنة في الكون . ولذلك لم تعد المعجزات ضرورية للقيام بالدعوة وأمكن التدليل على الدعوة بالعلوم الإنسانية نفسها.

هذا التحول في مجرى التاريخ ، الذي بدأ في القرن السابع الميلادي ، قد وصل إلى منتهاه في العصر الحاضر . فكل أنواع التأييد الذي يحتاج إليها الدعاة يتوفر اليوم في العلوم الإنسانية .

والثورات الاجتماعية والتشريعية مكنتنا اليوم أن نقوم للدعوة جهارا دون أن نخاف من الفراعنة والنماردة . فحقائق الكون لا تدحض أساطير الأديان الأخرى ، فحسب ، بل هي تؤكد على « حقانية » الدين الحق . وهذه المتغيرات ، التي ظهرت بسبب ثورة التوحيد ، تحتاج إلى سفر ضخم لحصرها . ولكنني سأذكر هنا بعض أهم النتائج التي تمخضت عن هذا التحوّل الفكري :

أولا : فصل الإدارة السياسية
عن المعتقدات الخرافية

دعا إبراهيم عليه السلام ، قبل أربعة آلاف سنة ، سكان (أور) حاضرة العراق القديم إلى الإيمان بالله الواحد الذي وحده ينفع ويعز ، ولا شريك له ، ولذلك عليهم أن يستعينوا به وحده ويعبدوه. وكان ردّ فعل الملك الكلداني المشرك « نمرود » شديداً لدرجة أنه ألقى بإبراهيم فى النار . واليوم ، في القرن العشرين ، تنتشر عقيدة الشرك بين غالبية سكان الهند ، ولكنك لو قمت بالدعوة الابراهيمية ، فإن حكام نيودلهي لن يعاملوك معاملة نمرود لداعي الحقّ في عصره .

والسبب في هذا أن العصر قد تغير . فالشرك كان عقيدة سياسية في عهد نمرود ، بينما هو عقيدة دينية محدودة اليوم . وكان نمرود ، مثل الملوك الآخرين في

الزمن القديم ، يحكم الناس بإيهامهم بأنه مظهر « المعبودة » الشمس ، وأنه لذلك يتمتع بحق فوق طبيعي للحكم دون الآخرين . وعلى العكس من هذا ، فإن حكام الهند من المشركين لا يعتبرون هذه العقيدة – الشرك ذات علاقة ما بالسياسة . فهم قد حصلوا على حق الحكم بسبب الأصوات الشعبية في الإنتخابات وليس بناء على حق فوق طبيعي ، وهم لذلك لا يرون عقيدة التوحيد خطراً يهدد كراسيهم بينما كان نمرود يؤمن بأن هذه العقيدة ستقطع جذوره السياسية.

والأنبياء كانوا يصطدمون بالحكّام في بداية الدعوة نفسها وكانت العقبات توضع في طريقهم منذ الوهلة الأولى . وكان السبب في ذلك ارتباط أجهزة الحكم بعقائد فوق طبيعية . فقد كان ملوك الزمن القديم يدّعون أنهم من أبناء الآلهة وأن الله قد حلّ في أجسادهم . وكانت دعوة التوحيد تقضي على جذور أباطيلهم السياسية وتحرمهم من حقوقهم لتولي الحكم . وكانت هذه المصالح تحول دون قبولهم الحق . وقد أثبت الإسلام أن السلطة فوق الطبيعية لله وحده وأعلن أن كل البشر سواسية ولا فضل لإنسان على آخر إلا بالتقوى . وهكذا حرر الإسلام الإدارة السياسية من المعتقدات الخرافية . والسلطة الآن سلطة سياسية محضة ولا تصطدم بعقيدة التوحيد.

والثورة الفكرية التي فجرها الإسلام في جزيرة العرب وصلت أخيراً إلى أوربا عبر آسيا وأفريقيا. وكانت الثورتان الجمهوريتان في فرنسا وأمريكا صدى لهذا التأثير . واكتمل هذا العمل التاريخي في القرن الحاضر . واليوم يستطيع الداعي إلى التوحيد أن يبشّر ويُنذر البشر دون أن يتعرض لتعقيدات العقائد السياسية . وكان مثل الداعي في نظام سياسي قديم كمثل شخص يتعاطى الطب زاعما أنه تلميذ لجان يعلّمه أسرار الطب كل ليلة . فلو بدأ أحد سكان مثل هذا البلد ينادي ويدعو إلى تعلم الطب في كلية الطب وليس على أيدي الجنّ ، سيصبح المعالج المذكور من أشدّ معارضي هذه الحركة ، بينما لن يتعرض له طبيب آخر في ذلك البلد ممن تخرجوا من كليات الطب.

ثانياً : حرية الرأي

وكان عامة الناس لا يتمتعون بحرية الرأي في الزمن القديم بسبب الاعتقاد بارتباط السلطان الدنيوي بقوى فوق الطبيعة. ولذلك كانت كلمات إنسان واحد يتمتع بالسلطان بمثابة القانون . وحين قضى الإسلام على فكرة تمتع غير الله بقوى غير طبيعية ، بدأ تطور جديد يطرأ على فكر العالم كله . وبسبب كونه غريباً على عصره ، فقد اكتمل عمل هذه التطور في ألف سنة من الزمن . أما اليوم فإن تلك الفكرة، التى كانت تعتبر حقيقة بدون جدال في الزمن القديم، قد أصبحت تافهه فلا يوجد لها نصير في أي جزء من أرجاء المعمورة الآن . ولنا درس واضح في تاريخ اليابان ... لقد دخلت المسيحية اليابان في النصف الأخير من القرن السادس عشر على أيدي البرتغاليين وأخذت تنتشر هناك . فصدر مرسوم امبراطوري عام ١٦١٢م حرّم اعتناق المسيحية والتبشير بها في اليابان . وظلت السلطات الحاكمة تنفذ هذا المرسوم لمدة مائتي سنة حتى استأصلت جذور المسيحية من اليابان.

ولكن تطوراً آخر كان يجرى بهدوء خلال هذه المدة . فآثار دَفْعة الإسلام للتاريخ كانت قد وصلت إلى أوربا وبلغت ذروتها السياسية في القرن الثامن عشر . وأصبحت حرية الفرد وحرية التعبير عن الرأي من حقوق الإنسان الأساسية المعترف بها . وهذه الأفكار ، التي وضعت في بداية الأمر في فرنسا ، أخذت تؤثر على سائر أجزاء العالم . ووصل الأمر في اليابان سنة ١٨٧٣ إلى إبطال المرسوم الإمبراطوري الآنف الذكر وإلى الاعتراف بحق الجميع في التعبير عن الرأي.

إن هذا التطور الجديد قد فتح كل الطرق والآفاق للدعوة إلى الدين الحق . والآن يستطيع الداعي أن يجاهر بالدعوة دون أن تتعرض السلطات في معظم أنحاء

العالـم لإسكات لسـانه أو قلمـه . ولكن لا يزال مـن الممكن أن نـضع نحن ، بـسبب جهلنا وحماقتنـا ، كل العراقيل التى أزالها الله من طريقنـا لنشر الإسلام . فأي تدبير ، مهما يكن عظيم الشأن ، لا يستطع أن يحول دون حماقات الجهلة.

ثالثا : تدبر ظواهر الكون وتسخيرها

كانت ظواهر الكون موضع تقديس وعبادة في الزمن القديم . وتمكن الإسلام ، لأول مرة في التاريخ، مـن جعل ظواهر الكون موضع تدبر وتسـخير . وكان الإنسـان يركع أمام هـذه الظواهر طالما اعـتبرها مقدسة ومـعبودة... وحين عرف أنهـا مسخرة ومخلوقة لمنفعته ، أخذ يحاول التوصل إلى حقائقها وأسرارها ، فبدأت حقائق الطبيعة وأسرارها تنكشف أمام الإنسان . وبدأت « آراء » اللـه و « آياته » التي تشهد بوجوده وعظـمته تظهـر للإنسـان واحدة بـعد الأخرى ...... حتى وصل الأمـر في الـقرن العشرين إلى تحقق النبوءة التي وردت في القرآن الكريم :

(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)

إن هذه النبوءة القرآنية قد تحققت اليوم على أعظم نطاق لدرجة أن الأشياء التي كان الإنسان يؤمن بها بالغيب ، في الماضي ، أصبحت الآن مشهورة وحقائق واقعة.

فالإنسان الـقديم كان يظن أن الطبيعة تتكون من مجـموعة وقائع بسيـطة غير معقـدة. ولكننا نـعرف اليوم أن الـطبيعة تـقوم على قوانـين غاية في الـتعقيد والحـكمة المتناهية . إن نظام الطبيعة يسير على أسـس متناهية الإحكام لدرجة أنه لا يمكن تفسير هذه الأسس بدون الاعتراف والإيمان « بمهندس » عـظيم وضع هذه الأسـس والقوانين بمنتهى الدقة .

وكان الفلاسفة القدماء يقولون : لم لا نعترف بأزلية الكون بدلاً من أن نعترف بأزلية الخالق ؟ إن الحقائق التي توصل إليها العلم الحديث قد أبطلت هذا المنهج الفكري (وعلى سبيل المثال النظرية العلمية التي تعرف « بالإنفجار العظيم Theory Big Bang » ترفض هذا المنهج الفكري الذي يقول بأزلية الكون) إن العلم الحديث قد اكتشف أن العالم قد خُلق في وقت وزمن محدد ولذلك لابد من الاعتراف بأزلية الخالق وأبديته. وكان الإنسان القديم يعتقد أن عديداً من القوى تدير ظواهر الكون المختلفة من طبيعية وكيماوية وحياتية . ثم أخبرنا « نيوتن » بأن ثلاثة قوى تدير الكون وهي قوى الجاذبية والمغنطيسية والذرية. ولكن اكتشاف « الجُزَيْء المسحور» Charmed Paricle في الذرة، مؤخرا، قد قضى على فكرة تعدد القوى التي تدير الكون . والاعتقاد يقوم الآن على الفكرة القائلة بأن قوة واحدة مسؤولة عن جميع ظواهر الطبيعة ووظائفها.

وهكذا قضى على كل أساس علمي يدعو للشرك ولم يعد أمام الإنسان من خيار سوى الاعتراف بالتوحيد . وأخذ العلم يقيم الأدلة على فكرة الحياة بعد الموت الدنيوي ، تلك الفكرة التي كانت تعتبر غير قابلة للإثبات العلمي منذ سنوات قليلة مضت . وتطالعنا اليوم كتب بأقلام مؤلفين غير دينيين تحمل عناوين مثل « الحياة بعد الحياة» Life After Life

رابعا : نهاية أسلوب الفكر اللاعلمي

كان أسلوب الفكر اللاعلمي القائم علي الأوهام يسيطر على عقول الناس في الأزمنة القديمة . وأهم خصائص الفكر اللاعلمي قبول فكرة ما دون فحصها والتدقيق فيها . وأسلوب الفكر اللاعملي كان يتيح للناس في العصور القديمة قناعة عقلية للتهرب من دعوة الحق .....عندما بدأ المسلمون يحطمون الأصنام الموضوعة في

الكعبة، عقب فتح مكة ، كان ينبغي لعبدة الأصنام أن يتوبوا ويؤمنوا بالدين الحق . ولكنهم فروا من مكة ولجأوا الي الجبال معتقدين أن عذاباً ما سينزل بمكة لقطع دابر المسلمين الذين حطموا الأصنام. ولم يفكر هؤلاء بسبب فكرهم اللاعلمي ، أن الأصنام لو كانت قادرة على الخير والشر ، لما سمحت للمسلمين بدخول مكة ولما سمحت لهم بتحطيمها .

إن الثورة العلمية تعني حلول الفكر العلمي القائم على الحقائق والوقائع محل الفكر اللاعلمي القائم على الأوهام. وبما أن النظام الكوني يسير على أسس غاية في الإحكام، فمن الطبيعي أن تؤدي نهضة العلوم الطبيعية الى قيام الاستدلال القائم على التجربة والتحقق من الأشياء بطريقة علمية بعيدة عن الأوهام والأهواء .

وكان الفكر اللاعلمي لا يحول دون قبول الناس في الأزمنة القديمة بالأفكار الوهمية الأسطورية ، فكانوا يقبلون بأية فكرة وهمية كحقيقة واقعة . ولكن إنسان القرن العشرين لا يقبل بأية فكرة غير علمية . إن هذا المناخ الفكري في فتح الباب على مصراعيه للدين الحق ، لأنه لا دين سواه يصمد أمام معايير التجربة والتحقق العلمي .

إن المسلمين لم يستفيدوا ، إلا قليلاً جداً . من هذه الأرضية الجديدة ، ولكنهم بدأوا يحصلون على ثمارها ، بطريقة غير مباشرة .وعلى سبيل المثال ، فإن هذه الأرضية الجديدة هي التي قضت على الاستشراق القديم بالموت . وكانت أوربا المسيحية ، عقب الحروب الصليبية ، بدأت تحرف تاريخ الإسلام وتعاليمه ، بصورة متعمدة وظل هذا العمل التخريبي مستمرا لعدة قرون حتى امتلأت المكتبة الغربية بنتائج هذه الصليبية الجديدة. وقبل ظهور العلوم الطبيعية الحديثة ، لم يكن هذا الأسلوب غريباً في أنظار الأوربيين. ولكن ظهور الفكر العلمي أبطل هذا الأسلوب وبدأ الاستشراق القديم يضمحل منذ عهد توماس كارليل (١٧٩٥ - ١٨٨١) إلى

أن وصل نهايته في النصف الثاني من القرن العشرين .

خامسا : الفكر التاريخي بدلا من الفكر الاسطوري

لم يكن الإنسان القديم يميز بين القصة الأسطورية وبن الوقائع التاريخية ، فكان الناس يؤمنون بالأساطير الوهمية إيمانهم بالحقائق التاريخية . ولكن الفكر العلمي دعا، تلقائيا، الي فهم حقائق البشرية بالمنظور التاريخي وأسلوبه. وبسبب هذا الفكر العلمي ظهر المنهج النقدي المعروف « بالنقد الأعلى » Higher Criticism . وتبين من إخضاع الأديان القديمة المختلفة لمعايير هذا المنهج النقدي أنها كلها غير دقيقة وغير موثوق بها تاريخياً . وأحدث الأديان، بعد الإسلام هي المسيحية ، ولكن لا يوجد أي تسجيل تاريخي عن المسيح في التاريخ المعاصر له ، والوسيلة الوحيدة لمعرفة أحواله هي الأناجيل المشكوك في وثائقيتها التاريخية . أما الإسلام فهو الوحيد من بين الأديان الذي ، كما قال فيليب حتّي، « ظهر في ضوء التاريخ الكامل » . إن جميع مكونات الإسلام ثابتة طبقاً للمعايير التاريخية الحديثة . فالإسلام حقيقة تاريخية واقعة ، بكل معاني الكلمة ، وهو ليس بعلم على مجموعة أساطير موثوق بها ، كما هي الحال مع الأديان الأخرى .

إن الوثائق التاريخية لم تكن ذات أهمية في الأزمنة الغابرة . ولكن إنسان القرن العشرين لا يعير اهتماماً للأشياء والأفكار التي لا تثبت أمام المعايير العلمية . وهذا المناخ الجديد هيأ فرصة كبرى لقبول الناس الإسلام على مستوى لم يسبق له مثيل.

سادسا : البحث عن التفسير السماوي

إن منكري وجود الله كانوا دائما يحاولون أن يبحثوا عن تفسير حقائق الأرض وظواهرها في أحوال الأرض نفسها ، كقولهم بأن الحياة نتاج لتفاعل العناصر الأرضية . ولكن الحقائق العلمية الجديدة قد أبطلت مثل هذه الأقوال الخرافية. وعلماء

اليوم مضطرون ليبحثوا عن تفسير سماوي لحقائق الأرض والنظرية الرائجة الآن ، بدلاً من نظرية الارتقاء، هي نظرية « پان سپرما Panspermia » التي تعني أن الحياة لم تظهر على الأرض بصورة تلقائية عمياء ، بل قد أرسلت الى الكرة الأرضية من الفضاء الخارجي بصورة متعمدة . وأصحاب هذه النظرية العلمية الجديدة يقولون إن هناك حضارة أكثر تقدما من حضارتنا ، هي التي أرسلت الحياة الى الأرض

وعلم الفلك الحديث يخبرنا بأن العوالم الفضائية ليست غير عابئة بنا ، وهي لا تفتقد الى العقل والشعور . فهناك قرائن وشواهد تخبرنا بأن هناك موجودات أكثر عقلاً وحكمة من الإنسان ، وفي مكان ما في الفضاء الخارجي ، وهي على اتصال دائم ومستمر بأرضنا بوسائلها فائقة التقدم في المواصلات . وقد أنشئ فرع جديد في علم الفلك يسمى « علم الفلك الإشعاعي Radio Astronomy » . ويقوم هذا الفرع الجديد بإرسال الإشارات الى الفضاء الخارجي ويستقبل الإشارات الفضائية الخارجية القادمة الى الأرض ويدرسها . وقد أقيمت مؤسسات كثيرة في البلاد المتقدمة ، تتفرغ للإتصال بالموجودات العقلية المتقدمة في العالم الخارجي . ومهما تكن نتائج هذه المحاولات ، فإنها تثبت أن فكرة الوحي الإلهي لهداية الإنسان لم تعد غريبة ومستبعدة لدى الإنسان الحديث.

إن إكتشاف الطبيعة وتسخيرها فتح أبواباً لا حصر لها للترف المادي في العصر الحديث ، وبنى الإنسان حضارة ورقيا ماديا لم تشهدهما الأرض من قبل ووفّر وسائل وراحة لم يحلم بها بشرٌ قط. ولكن الإنسان ، عندما وصل الى قمة الرقي والترف ، اكتشف أنه لن يحصل على الحياة المثالية الخالية من الخوف والألم والحزن والسفو والإثم في هذه الدنيا . وعوامل الرقي ومظاهره حطّمت توازن الطبيعة . ولم يتمكن الإنسان من التغلب على الشيخوخة والمرض والموت . وأخفقت لوائح الحكومة وضوابط القانون في ضبط السلوك البشري . ولوّثت الحضارة الآلية البر والبحر

بالفساد المادي والأخلاقي . وفشلت كل وسائل الترف المادي في إسعاد الإنسان ...

وبعد هذه التجربة بدأت حركة جديدة للبحث عن السعادة في أشياء غير مادية. والإنسان يحاول الآن أن يتوغل الى أعماق وجوده الروحي . وهذه الحركة الجديدة قد أسبغت أهمية كبيرة على الدين وعلم النفس . وبعد نحو قرن من التيه الفكري عاد إنسان العصر الحديث مرة أخرى الى حيث ينصت الى الكلام عن الله والدين ويتدبره . لقد كان هناك « حنفاء » قلائل يبحثون عن الحق في قديم الزمان ، أما عالم اليوم فيطفح بالباحثين عن الحق . فهل من مدّكر.

إن الإسلام هو الذي أوجد هذه الأرضية الفكرية، بصورة غير مباشرة ، ولكن ما أغرب أن أتباع الإسلام هم آخر من يعون ويستفيدون من هذا الوضع الجديد ؟!

إن أشياء ومتغيرات كثيرة قد فتحت لنا باباً جديداً تماماً لنشر الدين الحق والدعوة إليه . فأنت تستطيع اليوم أن تجاهر بالإعلان عن الرسالة الإلهية دون أن تتعرض للقهر السياسي أو العائق الفكري ، اللهم إلا أن نصدّ بأنفسنا هذا الباب بسبب جهلنا ، وذلك بأن ندخل مع حكام العصر في صدام كفى الله حركة الدعوة الإسلامية مشقّته.

سابعاً : أسلوب البيان العلمي

إن إحدى مظاهر الثورة الفكرية تتعلق بأسلوب البيان . وأسلوب الدعوة القرآني يقوم على لغة الطبيعة البسيطة ، كقوله تعالى : (أفي الله شك : فاطر السماوات والأرض) . ولم يكن الإنسان المثقف القديم يألف اللغة البسيطة فكان يتأثر بلغة السحر والطلاسم أو بالفلسفة والمنطق السفسطي . ولذلك لجأ الصوفية الى اليوغا والإشراق بينما لجأ المتكلمون الى الفلسفة اليونانية ، وقام القُصّاص بتأليف عدد لا يحصى من القصص الغريبة فأوجدوا قصصاً وأساطير « إسلامية » على نمط ألف

ليلة وليلة.

ولكن الوضع قد تغير اليوم . فالآن ، بعد الثورة العلمية ، أصبح الأسلوب المقبول هو الذي استخدمه القرآن قبل ١٤ قرناً . إنه نصر لنا من الله عظيم . وليس لنا الآن أن نضيع وقتنا في البهلوانيات الروحانية ولا أن نبرع في فن القصة والتفلسف . فيمكننا اليوم أن نضع تعاليم القرآن أمام الناس بنفس الأسلوب الفطري الذي نزلت به . فلو قمنا بنشر تراجم القرآن الكريم وكتب عن سيرة الرسول وحياة الصحابة . باللغة البسيطة والأسلوب الواقعي ، بمختلف اللغات العالمية ، لأقمنا الحجة على شعوب الأرض.

ثامناً :توفر الوسائل

إن النهضة العلمية وانتشار وسائل الطبع والاتصال قد فتحا إمكانات لا حدود لها للقيام بالدعوة . فإذا كان صوت المسيح لم يتعد حدود منطقة صغيرة من فلسطين في حياته ، فإن أتباعه ينقلون الديانة المسيحية الى ألفي لغة اليوم وينشرون صوت المسيحية في كل بقاع الأرض . إن هذا الفارق بين الأمس واليوم هو الفارق بين الزمن القديم والزمن الحديث . فإمكانات اليوم توفر التخطيط للدعوة على نطاق عالمي من أي مكان من الأرض ، ووسائل الإعلام الحديثة قد أخرجت الدعوة من إطارها المحلي والإقليمي المحدود إلى آفاق عالمية رحبة.

ولم يكن المسلمون في العصر الحاضر بقادرين على استخدام الوسائل الحديثة

لنشر الدعوة ، بسبب تخلفهم الاقتصادي . ولكن الله تعالى قد أزال هذا الحاجز بإخراج خزائن النفط من باطن الأرض ، فمكَّن المسلمين من دفع أغلى الثمن للقيام بهذه المسؤولية بفعالية كبرى.

إن ربنا قد أزال العوائق السياسية والفكرية كما أزال العوائق المادية والاقتصادية التي كانت تحول دون القيام بالدعوة بالفعالية المطلوبة . ولو لم يقم المسلمون بالدعوة، بعد هذا النصر الإلهي المدهش ، فليعلموا جيداً أنهم لن يفلتوا من بطش الله ، مهما كانت الواجبات التي يقومون بها من دون الدعوة.

إن عقيدة الشرك كانت الغالبة في الزمن القديم تماماً كما تسود فكرة حرية الإنسان كل أنحاء العالم اليوم . وغلبة الشرك كانت قد أقامت عوائق مصطنعة كثيرة في وجه دعاة التوحيد فلم يكونوا يقدرون على إبلاغ الدعوة الإلهية إلا بالمرور عبر النار والدم.

والثورة الفكرية التي أحدثها آخر الأنبياء ﷺ ، قد أزالت الشرك كعقيدة غالبة، فبدأ تطور فكري جديد في التاريخ. وبعد نحو ألف سنة من ظهور الإسلام انقسمت هذه الثورة الى شطرين، فبقي الشطر الديني داخل العالم الإسلامي بينما انتقل الشطر الدنيوي الى الغرب حيث ظل يتطور وينمو ، فبلغ الكمال خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. إن أفكار الجمهورية وحرية الرأي والفكر العلمي هي النتائج الدنيوية الفكرية التي أحدثها الإسلام.

وهذه النتائج الدنيوية قد فتحت آفاقاً جديدة لم نكن نحلم بها لنشر دعوة الحق. فمن ناحية أمكن نشر رسالة التوحيد في مناخ حر تماماً ، وبكل قوة، ومن ناحية أخرى مكنتنا المطبعة ووسائل الإعلام الحديثة من تنظيم الدعوة الإسلامية على

المستوى العالمي . لأول مرة في التاريخ . ولكن حين توفرت هذه الإمكانات ..... اتجهت الحركات القائمة باسم الإسلام نحو السياسة بدلاً من الدعوة ، واصطدمت بحكام العصر ، وبأسلوب جديد خلقت لنفسها كل تلك المشكلات التي أزالها الإسلام بثورته الفكرية على مدى ألف سنة.

ولم يحدث في تاريخ الإسلام بأكمله واقع كهذا الواقع ، وهو أن جميع الحركات الإسلامية رأت أن المواجهه السياسية هي المطلوب الوحيد منها ، فجعلت من الإسلام نداً للسلطة . بعض الحركات قفز في ميدان السياسة منذ البداية وبعضها الآخر انحرف الى « الجهاد المقدس » في مرحلة تالية.

إننا في اللحظات نفسها التي اكتمل فيها التطور التاريخي وفتح لنا آفاقاً عظيمة للدعوة ، انشغلنا ، بمنتهى الحماقة في حرب سياسية لن يخرج المسلمون منها بنتيجة ما دينيا أو دنيوياً. والبديل الوحيد لتلافي هذا الخطأ هو أن نترك الألاعيب السياسية بصورة كاملة ونبدأ على الفور العمل على إبلاغ رسالة القرآن والسنة الى سكان المعمورة ، لتأدية واجباتنا « كشهداء على الناس » .

مسؤوليات الدعوة

إن للإنسان قضية أبدية واحدة في نظر الإسلام، ألا وهي قضية الآخرة. ودعوة البشر الى رسالة الحق وإنذارهم من يوم الحساب هي الجهاد المطلوب دوماً من كل مسلم وقد تضخمت هذه المسؤولية بسبب توافر امكانات هائلة لنشر الدعوة في العصر الحديث.

الدعوة هي الجهاد

لا شك في أن الجهاد افضل العبادات في الاسلام . ولكن القول بأن الجهاد هو القتال قول خاطئ تماماً مثل حذف الجهاد من الدين . والحقيقة أن جهاد الأمة المحمدية هو الدعوة . إن القرآن الكريم يخبرنا بأن بذل الطاقة لأجل شهادة الحق هو الجهاد : « وجاهدوا في الله حق جهاده . هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة أبيكم ابراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل ، وفي هذا ، ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس» [1]

وفى مكان آخر يأمرنا الله تعالى : (فلا تطع الكافرين وجاهدهم به (القرآن) جهاداً كبيرا) [2]

---

(١) الحج : ٧٨

(٢) الفرقان : ٥٢.

والله تعالى قد اعتبر الدعوة (قولا ثقيلا) [١]

ان الدعوة والتبليغ من أعظم الأعمال وأشقها ، والذي يهب نفسه لهذا العمل يصل الى مرحلة (لعلك باخع نفسك) [٢] .

ولكن من أفدح الأخطاء التي ارتكبتها الحركات الإسلامية الحديثة أنها ظنت أن الجهاد هو القتال والعويل السياسي [٣].وكانت النتيجة أن تحول ميدان الجهاد ، بدلاً من الدعوة ، الى النشاط السياسي ولم يبق لإرواء عاطفة الإيمان الجياشة سوى سبيلين اثنين: استخدام السيف إن سمحت الظروف أو الخطابة . إن مصر والجزائر والهند تقدم أمثلة واضحة لهذا الإتجاه .. لقد ضحى الملايين من المجاهدين في هذه المناطق في حربها ضد « الإستعمار » أو « السلطة الفاسدة » ، وحين انتهت هذه الفرصة لم يجدوا سوى إثارة الطوفانات الكلامية من خطابة وكتابة ، وحين انتهت هذه الفرصة الأخيرة أيضاً آووا إلى الزوايا والتكايا وانشغلوا بالتسبيحات الصوفية.

إن الجهاد هو القوة التي تمكن الإسلام في الأرض . فلِمْ لمْ يفز الإسلام بالتمكن في هذا العصر بالرغم من إثارة عاطفة الجهاد على هذا المستوى الضخم ؟ والسبب ليس إلا أن عاطفة الجهاد لم تجد لها المنفذ الصحيح فانسابت في مختلف الاتجاهات وضاعت، تماما كما يصب نهر عظيم كل مياهه في البحر بينما تموت الحقول الواقعة حوله لعدم توفر الماء ، لأن أصحاب الحقول لم يحفروا القنوات اللازمة لإيصال المياه الى الحقول .

---

(١) المزمل : ٥ .
(٢) الشعراء : ٣٠ .
(٣) لا شك في أن الدفاع عن الوطن وصد الغزوات الخارجية من الجهاد ، ولكن حاجته تزول بزوال العدوان والغزو الخارجي ، أما جهاد الدعوة فهو مطلوب لنفسه ، وفي كل الظروف ، وحتى خلال الحرب مع الأعداء لكي يهتدوا الى سبيل الحق .

إن الدعوة لا تعني ، البته، أن تنفخ بضع كلمات في أذن شخص ما ولا أن تنتقد أسلوب حياته المنحرف . إن الدعوة عمل يتطلب غاية التضحية ولا تظهر الى الوجود إلا حين يضحي الداعي بوقته وعواطفه وماله وكل ما يملكه . إن القرآن يأمر بأن يكون الداعي في غاية النصح للمدعو، وأن يكون كلامه قولاً بليغاً يفهمه المدعو، وأن يصبر على الأذى الذي يلحقه من المدعو، وأن ينفق كل ما يملكه في سبيل الله ، وأن يدعو للمدعو بدلاً من الغضب على إعراضه عن دعوة الحق، وأن يسعى لتأليف قلبه، وأن يستمر هذا العمل حتى نهاية عمر الداعي .إنك لو بدأت هذا العمل ، وراعيت كل آدابه، وآتيته حقه، فهو عمل عظيم وشاق للنفس ، يهزّ أقوى البشر، حتى لايرى أبداً أن قد أدى حق هذه الأمانة .

وقد أضيفت الآن طرق جديدة كثيرة الى أساليب الدعوة في العصور القديمة . ولذلك قد اتسع عمل الدعوة اتساعاً كبيرا في العصر الحاضر فيما يتعلق بالوسائل والتدابير . والحقيقة أن أموال النفط كلها لا تكفي لجهاد الدعوة وتبليغ الرسالة . إن الأديان الأخرى ، كالمسيحية ، قد أدركت هذه التغيرات العصرية وقد استخدمت الوسائل الحديثة استخداماً مكثفاً لنشر أديانها . والمسلمون متخلفون في هذا المضمار ولا يملكون الشعور الصحيح عن آفاق الامكانات الحديثة . إن الدعوة أمر عادي لديهم لدرجة أنهم يتعجبون من أن يكون هذا العمل البسيط هو عين الجهاد.

هذا ليس بعذر

إن بعض الناس يقولون : « إن المسلمين أنفسهم قد تخلوا عن الإسلام فكيف لهم أن يدعوا الآخرين الى الإسلام ؟ » ..إنه لا علاقة لمثل هذا الاعتراض بالدين والشريعة . إن النبي محمداً ﷺ بدأ بنشر الإسلام بين المشركين ، ولكن الأنبياء

الآخرين قد بعثوا عموماً الى « المسلمين الفاسدين » في عصورهم . وأسلوب هؤلاء الأنبياء في التعامل مع المسلمين الفاسدين هو عين الأسلوب الذي ينبغي علينا اتخاذه اسوة ، تماماً كما نتخذ من أعمال النبي الكريم أسوة لنا ، فقد أمر القرآن الكريم صراحة : (فبهداهم اقتده)[1].

وأذكر هنا مثال موسى عليه السلام الذي بعث الى بنى إسرائيل في مصر . وقبل ظهور الأمة المحمدية كان بنو إسرائيل هم « المسلمون » تماماً كأمة الإسلام اليوم ، وكذلك كان بنو اسرائيل مسؤولين عن إبلاغ الدعوة الى الآخرين تماماً كما نحن مسؤولون عنها اليوم ، وكما أننا (خير أمة)[2] فللأسباب نفسها قال الله تعالى لبني إسرائيل : (فضّلتكم على لعالمين)[3]، في تلك العصور حين كانوا حملة الأمانة . ومن المؤكد أن بني إسرائيل ، عندما بعث موسى عليه السلام ، كانوا يعانون من كل النقائص التي يعاني منها المسلمون المعاصرون . ولكن أمر إبلاغ الدعوة الى غير بني اسرائيل لم يؤخر ، فبينما أمر الله تعالى موسى بإصلاح بني إسرائيل دينياً وخلقياً[4] ، أمره كذلك بأن يبلغ أقباط مصر رسالة الله : (اذهب الى فرعون ، إنه طغى)[5] .

إن الله تعالى لم يأمر موسى بالاكتفاء باصلاح بني اسرائيل فقط لبعدهم عن الاسلام، بل أمره بأن يبلغ الرسالة الى غير المسلمين في نفس الوقت الذي يشتغل فيه اصلاح شعبة.

إن أعمالا عديدة تستمر عندنا بناء على الفكرة التي تقول : « إعداد المسلمين أولاً » . وقد توفي مؤسس أحد هذه الأعمال سنة ١٨٩٨ م ، ولا يزال يستمر هذا

---

(١) الأنعام : ٩٠ .
(٢) البقرة : ١١٠ .
(٣) البقرة : ٤٧ .
(٤) تراجع سورة يونس : ٨٧ .
(٥) طه : ٢٤ .

العمل بدون أن يتعطل يوماً واحداً . وبكلمة أخرى ، لدينا حركة يقتصر عملها على إصلاح المسلمين وحدهم ، ونشاطها مستمر منذ أكثر من قرن. والآن ، بينما يدعي مؤيدوها أنها أصبحت حركة عالمية ، لا توجد اليوم في الهند (حيث مركز هذه الحركة) قرية واحدة أو حي واحد يمكن الادعاء بشأنه بأنه ، طبقاً للمعيار المذكور، أصبح مؤهلاً وقادراً على دعوة الآخرين الى الاسلام.

إن في بلادنا (الهند) نفسها أكثر من مائة ألف شخص يموتون يومياً ، أما على المستوى العالمي فنحو مليون شخص يعبرون بوابة الموت كل يوم . فما أعجب أنه بينما يموت مليون من البشر كل يوم وهم يجهلون رسالة الحق ، نحن نضيع قرناً كاملاً متعللين بأننا لا نزال نعد المسلمين ونصلحهم ! وما أكثر إثارة للدهشة من أن يأتي هذا الرد من أتباع النبي كان يقول إن الناس يتساقطون في النار كالفراشات وأنا أحاول بكل قوتي أن أنقذهم .

إننا كلنا نعرف أن الصلاة مطلوبة منا ولو كانت المخارج الصوتية لأحدنا غير سليمة، ولو كان أحدنا لم يحفظ بعد القدر الكافي من الآيات القرآنية . ولا يتجرأ عالم من العلماء أن يفتي ، لشخص مصاب بعادة سرية ، بألا يقرب الصلاة حتى يصلح عادته السرية . ولكننا نتناسى هذا المبدأ الشرعي حين يتعلق الأمر بأداء واجبنا نحو دعوة الآخرين الى دين الحق . وهل من سبب لهذا التقاعس الإجرامي سوى أننا نعرف أهمية الصلاة بينما نجهل أهمية شهادة الحق والدعوة الى الله .... إننا لا نزال نذكر الدرس القائل بأن أول سؤال يوم الحساب سيكون عن الصلاة، ولكننا نسينا حقيقة أن إبلاغ الآخرين رسالة الحق فريضة على الأمة المحمدية تماماً كفريضة الصلوات الخمس كل يوم .

إمكانات الدعوة الإسلامية والنفط

بدأ النفط يتدفق من باطن الأرض سنة ١٨٥٩ حين نجح الأمريكي إيدوين دريك في استخراج النفط من بئر في بنسلوانيا بلغ عمقه سبعين قدما . وفي الشرق الأوسط استخرج النفط لأول مرة سنة ١٩٠٨ بمنطقة مسجد سليمان . إن النفط سر قوة العالم الصناعي ونهضته وأهميته للصناعة كأهمية الماء للزراعة أو الدم للجسد البشري . والمدهش أن قدراً من الثورة النفطية مدفون تحت تراب الشرق الأوسط أو منطقة الخليج . والشعوب الصناعية الغربية كانت تتحكم في هذه الثروة الى حد كبير منذ بداية القرن . إن سر نهضة هذه الشعوب وتقدمها يكمن في الوقود الرخيصة التي كانت تحصل عليها باستمرار من الشرق الأوسط . إنها كانت تتقوى بوقود العالم الإسلامي ثم تتحكم في بلاد المسلمين .

وقد استخدم سلاح النفط لأول مرة في حرب اكتوبر ١٩٧٣ كسلاح دفاعي اضطراري ، وعند ذلك تنبه العالم كله الي أن النفط قوة وأنه يستطيع أن يهز العالم الصناعي ولو استخدم بصورة جزئية .

ويُقال عن تجمع هذه الثروات النفطية في منطقة ما أنه « حادث جغرافي » . ولكن الأمر الأكثر وثوقاً من هذا القياس لخبراء طبقات الأرض هو ما يخبرنا به القرآن بأن كل ما يحدث على الأرض لا يحدث إلا بناء على أحكام الله وتدبيره سواء

أشاهدت العيون البشرية يد الله وراء الأحداث أم لم تتمكن من مشاهدتها .

لماذا أعطى الله هذه الثروة للدول الإسلامية ؟ حين تفكر في هذا السؤال، يأتي أمامنا الحديث النبوى الآتي :

« يوشك ان يحسر الفرات عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا».

ولعل هذا الحديث يشير الى الذهب السيال الذي نسميه بالنفط . وهو يعني أن الثروة التي ستظهر في منطقة الخليج ليست للترف والبذخ . والذين يزعمون أن هذه الثروة لتوسيع الحرم الشريف وتزيين الأماكن المقدسة عليهم أن يتدبروا الآية ١٩ من سورة التوبة التي تقول :

(أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله . لا يستوون عند الله . والله لا يهدي القوم الظالمين) .

إن الحقيقة هي أن هذه الثروة الطبيعية بديل للمسلمين عن تخلفهم الصناعي . لقد كان المسلمون متخلفين عن الشعوب الأخرى في الصناعة والاقتصاد ، ولذلك تجرأ بعض الخبراء الغربيين على القول بأن البلاد الإسلامية لن تجاري الغرب اقتصاديا - لأنها لو دخلت العصر الصناعي بشق الأنفس يكون العالم الصناعي قد دخل عصر ما بعد الصناعة.

ولكن ظهور ثروة النفط قد قلب هذا الوضع فجأة .

فيقول التقرير ٤٧٧ (١٩٧٤) للبنك الدولي : إن الدول المصدرة للنفط تتحكم في ٨٥ في المائة من تجارة النفط العالمية . وهكذا حصلت بلاد النفط على نفوذ اقتصادي في عالم اليوم ، بتدبير إلهى محض .

إن ثروة النفط قد مكنت الدول الإسلامية من دفع أغلى الثمن لتأدية المسؤولية التي كلفها ربها بها ، وهي إبلاغ شعوب الأرض برسالة الله ، وإبلاغ الناس بأنهم عائدون الى ربهم بعد الموت ليحاسبهم على أعمالهم في الدنيا .

ولم يكن المسلمون بقادرين على تأدية هذه المسؤولية اقتصادياً ، على أعلى المستويات في العصر الحديث. ولكن الله تعالى قد أنهى عذرهم بأن أعطاهم خزائن العصر الصناعي . وهذا الحدث، في نوعيته ، يوافق تماماً ما حدث مع بني اسرائيل قبل أربعة آلاف سنة . فحين خرج بنو اسرائيل من مناطق مصر الخصبة الى صحراء سيناء وجدوا أنفسهم محرومين من كل الوسائل الاقتصادية .وفى ذلك الوقت قضى الله تعالى على حرمانهم الاقتصادي في الصحراء بأن أنزل عليهم المن والسلوى من السماء . وهذه صور غير عادية للنصرة الالهية . والجماعة التي لا تفي بمسؤولياتها الدينية ، بعد الحصول على مثل هذه النصرة الالهية الخارقة للعادة ، تصبح عند الله مجرمة فلا يسمع منها عذر . ان الله تعالى قد التزم بتوفير الامكانات لحملة الكتاب . وكل ما يبقى بعد توفير الامكانات فهو من واجبات حملة الرسالة . وكلما زادت الامكانات زادت مسؤولية حملة الرسالة.

قوموا لقضايا الحياة الأبدية

لو شوهدت الأفعى في بيت من البيوت ستجد كل كبير وصغير يهب لقتل الأفعى بالعصي والأحجار ، ولكنهم لا يقبلون على العمل البناء الصامت بمثل هذه الحركة . وهذا ما ينطبق على الحركات الاسلامية المعاصرة . فهي لم تقم لأجل فكر إسلامي إيجابي بل قامت رداً على عوامل خارجية محضة، كاعتداء شعوب الغرب على أوطاننا ، والعدوان الاسرائيلي ، والمذابح الطائفية والخسارة السياسية أو

الإقتصادية . وأصبحت حركات رد الفعل على هذه الأحداث تسمى بالحركات الاسلامية.

وهناك فروق شاسعة بين هذه الحركات نفسها ، فمنها حركات متطرفة وأخرى تظهر بالثوب الفلسفي ، وبعضها ينادي بالقرآن والاسلام، بينما البعض الآخر ينادي بالقومية والوطن، وبعضها ينادي بالهجوم ، وآخرون ينادون بحفظ الحقوق . ولكن هناك قاسماً مشتركا بين كل هذه الحركات، وهو أن الدافع المحرك لها كلها ليس إلا الأحداث الدنيوية الخارجية وليست رسالة الاسلام الأبدية.

إن للإنسان قضية أبدية واحدة في نظر الاسلام ، والمسلم دائما يقوم لها وحدها، ألا وهي قضية الآخرة . إن الخالق لم يخلق الانسان كالأشجار والطيور والحيوانات، بل خلقه كمخلوق مسؤول . وما الحياة الدنيا إلا فترة امتحان واختبار . والانسان لا ينتهي حين يعبر بوابة الموت، بل هو يمثل بين يدي ربه للحساب عن حياته الدنيوية . وبعد ذلك تبدأ الحياة الأبدية ، في الجنة أو الجحيم ، حسب أعمال كل فرد على حدة.

والحركة الاسلامية تقوم لإنذار البشر بهذه القضية البالغة الخطورة . إن المسلم لا يصوغ فكره بالإنفعال مع القضايا الدنيوية المؤقتة ، بل هو يصوغ فكره في ضوءحقائق الحياة الأبدية . إن المسلم يصبر علي المصائب الخارجية حتى لا ينصرف عن رسالته الحقيقية . إنه ينفق كل طاقاته لهدف واحد لأنه يعرف جيداً أن كل الأبواب الأخرى ستنفتح له بتأديته هذه المسؤولية الأساسية . إن المسلم يعمل لأجل قضايا الحياة الأبدية وليس لأجل القضايا المؤقتة . وحين يواجه الانسان قضايا الحياة البالغة الخطورة ، فالأحمق وحده يستطيع أن يصرف طاقاته لقضايا المؤقتة.

إن رسالة الأمة المسلمة أن تنذر البشر بيوم الآخرة ، ولو فتحنا الصراع مع الآخرين لأجل القضايا الدنيوية فسنقضي على الجو الذي يتيح لفت أنظارهم نحو القضايا الأخروية.

إن الدعوة التي تصاحب الصراعات السياسية والإقتصادية ليست من الدعوة في شيء بل هي مسرحية ساخرة.

* * *

الطبعة الأولى
١٩٩٢م - ١٤١٣هـ
- القاهرة -

عنوان المؤلف
ISLAMIC CENTRE
C - 29 NIZAMUDDIN WEST
NEW DELHI - 110013 INDIA
TEL 697333 / 611128

إمكانات جديدة للدعوة

الحركة الإسلامية تقوم لإنذار البشر بهذه القضية البالغة الخطورة. إن المسلم لا يصوغ فكره بالإنفعال مع القضايا الدنيوية المؤقتة، بل هو يصوغ فكره في ضوء حقائق الحياة الأبدية. إن المسلم يصبر على المصائب الخارجية حتى لا ينصرف عن رسالته الحقيقية. إنه ينفق كل طاقاته لهدف واحد لأنه يعرف جيداً أن كل الأبواب الأخرى ستفتح له بتأديته هذه المسؤولية الأساسية. إن المسلم يعمل لأجل قضايا الحياة الأبدية وليس لأجل القضايا المؤقتة. وحين يواجه الإنسان قضايا الحياة الأبدية البالغة الخطورة، فالأحمق وحده يستطيع أن يصرف طاقاته للقضايا المؤقتة.

إن رسالة الأمة المسلمة أن تنذر البشر بيوم الآخرة، ولو فتحنا الصراع مع الآخرين لأجل القضايا الدنيوية فسنقضي على الجو الذي يتيح لفت أنظارهم نحو القضايا الأخروية.

الناشر

الرسالة للإعلام الدولي

٧ ش الشيخ محمد النادي - مكرم عبيد - مدينة نصر

✆ ٢٦٢٢٣١٠٥ - ٢٦٢٨٤٩٩ - ٢٦٢٢٨٤٠

تصميم وتنفيذ ...

مركز فجر للجمع التصويري

Fagr Center For Photo Composing

١٠ ش د. علي إبراهيم رامز . مصر الجديدة - خلف مستشفى هليوبوليس

طبع بمطابع هليوبوليس ✆ ٢٤٢٣٢٤٩